5

سلسلة مصر الحضارة

الزراعة فى مصر القديمة

بقلم
على عبد الحليم على

مراجعة
أ. د. شافية بدير

دار المعارف

تنفيذ المتن والغلاف
بالمركز الالكترونى
دار المعارف

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة - ج. م. ع.
هاتف : ٥٧٧٧٠٧٧- فاكس: ٥٧٤٤٩٩٩ E-mail: maaref@idsc.net.eg

مقدمة

لقد وهبَ الله مصرَ شريانًا ينبضُ بالحياةِ فى جسدِهَا، ألا وهو نهرُ النيل، ذلكَ النهرُ الخالدُ الذى قدسهُ المصريُون القدمَاء وحَافظوا عليه ونصحُوا نصيحةً غاليةً بخصوصِه فكانوا يقولُون «إننى لم ألوّثْ ماءَ النهر»، وأثنَى عليه الرحّالةُ الإغريق فقالَ عنه هيرودُوت المؤرخُ الإغريقى الشهير «مصرُ هبةُ النيل»، كما تغنّى به الشعراءُ المحدثُونَ حيثُ خاطبه أحمد شوقى قائلاً:

مِنْ أى عَهْدٍ فى القُرى تتدفّقُ وبأى كَفٍ فى المدَائنِ تُغْدِقُ

وكان نهرُ النيلِ مصدرَ الثراءِ فى مصرَ حتى إنّ فرعونَ مُوسى تفاخرَ فقال: ﴿وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ﴾ (الآية :٥١)سورة الزخرف.

حَقًّا، لقد كانَ هذا النهرُ هو المصدرُ الرئيسى الذى اعتمدتْ عليه الزراعةُ وبدونه ما كانتْ هناكَ زراعة إلا على بعضِ الأمطارِ القليلةِ التى تسقطُ فى فصلِ الشتاء، وبالتالى فقد اشتهرت مصرُ بالزراعةِ اعتمادًا على مياه النيل لدرجةِ أن شهرتهَا كانتْ على مُستوى العالمِ القديم فقدْ ذُكرَ فى القرآن الكريم عندمَا طلبَ بنُو إسرائيلَ من سيدنا مُوسى عليه السلام أن يُخرجَ لهم مما تنبتُ الأرضُ من بقلهَا وقثائهَا وفومهَا وعدسهَا وبصلهَا فأمرهم بالهُبوط إلى مصرَ فإنهُم سيجدُونَ ما يُريدونه قال تعالى:

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ﴾ (البقرة : الآية : ٦١)

وتحكى لنا الآثارُ المصريةُ أنّ أولَ من علم الناسَ الزراعةَ هو إله يُدعى أوزيريس، وهو إله الخيرِ والخصُوبة. كما عشقَ المصريونَ القدماءُ الزراعةَ لدرجةِ أنهم تخيلُوا أن الجنةَ التى يدخلهَا الصالحونَ فى الآخرةِ هى عبارةٌ عن حقولٍ وزروعٍ وأنهار. ونجدُ الموتى وهم يقومونَ بأعمالِ الزراعةِ مع زوجَاتهم فى العديدِ منَ المناظرِ. انظر صورة رقم (١) .

صورة رقم (١): تخيل المصرى القديم جنته فى العالم الآخر على أنها حقول يزرع ويحصد فيها مع زوجته.

وقد أثرت الزراعةُ أيضًا على الفكرِ الدينى المصْرى القديم فقد أخذَ المصرىُ القديمُ فكرةَ الحياةِ بعدَ الموت من خلالِ نمو النبات، فبعد أن تجفّ النباتاتُ وتسقط حبوبهَا فى التربةِ ثم يأتى الفيضانُ فى العامِ التالى (أو تسقطُ الأمطارُ فى المناطقِ الصحْراوية) تنبتُ هذه الحبُوب، وهكذا يكون حال الإنسان فى نظرِ المصرى القديم حيثُ إنه بعد أن يموتَ ويُدْفنَ فى الأرض فإنه يبعثُ من جديدٍ مثْل النبات.

• نشأة الـزراعة

لقـد مر الإنسـانُ المصرى القديمُ بمراحلَ حضاريـةٍ عديدةٍ حتى وصَلَ إلى مرحلـةِ الزراعة، فقد بدأ حيَاته بجمعِ النباتِ والثمـار والفاكهة ليأكلهَا، وبعدهَـا هداهُ تفكيرهُ إلى صيـدِ الحيواناتِ والطيورِ، ثم رَأى أنْ يحتفظَ بهَا فاستأنسـهَا عنده فى مجتمعهِ. وكانت هذه الحيوانـاتُ التى أصبحَت أليفةً تحتاجُ إلى المأكلِ والمشـربِ فقـام برعْيهَا. كانت كلُ هذه المراحل (الجمع والصيد واسـتئناس الحيوَان والرعْى) سَـابقة لمرحلةِ الزراعة وكان الإنسانُ فى هذه المراحلِ متنقلاً بينَ أماكنِ العشْـبِ وموارِدِ المياه، ولكنّ هذَا الحالَ لمْ يدم طويلاً، فقد فكّر الإنسـانُ فى الاستفادةِ منَ الطبيعةِ وهداهُ تفكيرُه إلى الزراعةِ التى كانت خُطوةً واسعةً نحوَ الاستقرارِ وبناءِ المساكنِ والمدنية.

• كيف اهتدى الإنسانُ إلى الزراعة:

عرفت مصرُ الزراعة فى حوالى الألف السادسـةِ قبلَ الميلاد، وقد اهتدى الإنسـانُ المصـرى القديمُ إلى الزراعـةِ عن طريقِ الملاحظـةِ، فقد لاحظَ أنّ الحبوبَ البرية تنمُو على ضفافِ النيل بطريقةٍ طبيعيةٍ بدونِ تدخُلِ الإنسَان، وذلكَ عندما كانت تنمُو وتنضجُ ثمارُها ثم تجفُ وتسـقطُ على الأرض فتكْمُنَ فـى الأرض حتى يأتـى الفيضَانُ أو يصيبهَا البللُ فتنْمـو منْ جَديد. تكررتْ هـذه العمليةُ أمامَ عينى المصرى القديم اللتين تميزتا بقُوة الملاحظةِ وتقليدِ الطبيعَة، فَشَـرعَ فى القيام بزراعة بعضِ الحبوبِ فنجحتْ تجْربته، وبذلك أصبحَ الإنسانُ لأول مرةٍ مُنتجًا لطعَامه، ولا ينتظرُ ما تجودُ به الطبيعةُ عليه فإذا منعتْ عنه العيشَ وقع تحتَ قسوتها.

• أساليب الزراعة

رسم الفنانُ المصرى القديم على جدران المقابرِ مناظر عديدة للزراعة والحرث والرى والحصاد والدرْس والتذْرية وتخزين الحُبوب، واحتفظ لنا الزمنُ بهذه الرسومات لكى نعرفَ من خلالها الأساليبَ التى اتبعها الفلاحُ المصرى القديمُ فى الزراعة..

١ - تهيئة (إعداد) الأرض للزراعة :

عندما يأتى الفيضانُ ويرتفع مستوى الماء فى النهر، يفرحُ الفلاحونَ ويرددون بعضَ الأغانى الجميلة. وقبل أنْ تُفتحَ أبوابُ ومتاريسُ قنواتِ الرى كان يتم تقسيمُ الأرضِ إلى أحواضٍ تفصلُ بينها جسورٌ لحصْرِ المياه والانتفاع بها وكان لكُلِّ حوضٍ قناةٌ خاصّة به، وكانت هناك سُدود للتحكمّ فى المياه الداخلةِ إلى الحوضِ والخارجَة منه عند صرفِ المياهِ الزائدة. وعندما تنخفض المياهُ كان الفلاحونَ يقومونَ بتمهيدِ الأرض وإعدادهَا للزراعة، وكان ذلك يتطلبُ منهم شّقّ الترع والقنوات، وقد أمدتنا نقوشُ مقابر سقّارة والجيزة وميدوم وأسوان بهذه المعلومات.

٢ - حرث الأرض :

كانت عمليةُ الحرثِ تتطلبُ وجود رجلين يضغطُ أحدهُمَا على مِقْبض المِحْراث، أما الآخرُ فيقودُ ثوريْن يجرانِ هذا المحْراث ويحثهمَا على السير، وكان هناك نوعَان منَ الحرث، أحدهما يُسمى الحرث السّطحى وكان يتم عندمَا تكونُ الأرضُ جافةً جفافًا مناسبًا، والنوع الآخر يسمى الحرثُ الثقيلُ وكان يتم عندما تجفُ الأرضُ جفافًا تامًا. انظر صورة رقم (٢أ).

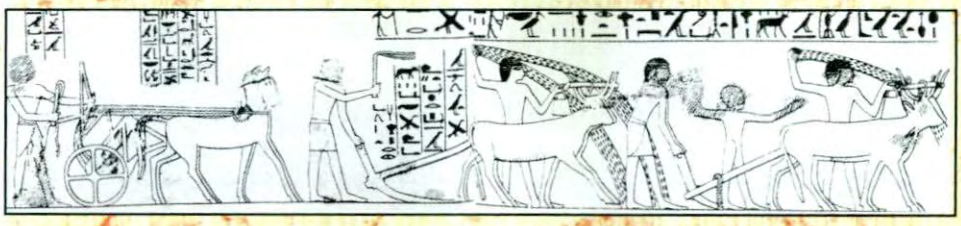

صورة رقم (٢أ) الحرث باستخدام المحاريث .

وكان العمـالُ (الفلاحون) أثناءَ العمل يتبادلُـون بعضَ الأحاديثِ والنوادرِ بينهم فنسمعُ أحدهم يقولُ لصاحبه: «اضغط على المحراثِ وشُدّ بيدك عليه » ثم يصيح فى الماشـيةِ قائلاً: «شد بقوة»، وإذا ما وصلَ إلى آخرِ الحقلِ وأرادَ الرجُوع نسمعهُ يصيحُ فى الماشية: «استديرى» .

٣ - تسميد الأرض :

أحـبّ المصـرى القديـمُ الأرضَ وأرادَ الحفاظ على خصُوبتهـا فعملَ أقصى جُهده على ألا يُرْهقها، وعلى أنْ يُخصبها ويمدهَا بالسمادِ وسَاعده على ذلك أنـه كان يتركُ جـذورَ النباتات مكانهَا فى الأرض بعـد الحصادِ طوال فترة الصيفِ فتصيبهَا الشمسُ فتتحولُ إلى (ذُبَال) أى سِمَادٍ يفيدُ التربةَ وبالتالى النباتاتِ المزروعةِ فى العامِ التالى من حيثُ عملية الغذَاء.

وكان لفيضـانِ النيـلِ فضلٌ عظيمٌ فى تخصيبِ التربـةِ من خلال الطمى والغرْين الذى يحضرهُ معه من الجنوب ويُرسبه فى التربةِ المصْرية. كما يبدُو أنّ المصرى القديمَ قد اسـتخدم السمادَ البلدى المتبقى عنِ المواشى التـى كان يقـومُ بتربيتها فى حظيـرة منزله مثلمَا يفعـلُ الفلاحُون فى عصرنَا الحالى.

٤ - عزق الأرض :

كان الفلاحـــونَ يقومـــونَ بعزقِ الأرضِ بالفأس وإذا بقيـت مياهُ الفيضـان مـــدةً طويلةً ولم تجف الأرضُ تمامًـا فإنـه كانَ يكتفى بعزقها عزقًا خفيفًا وكان الغرضُ من ذلك هو تســوية الأرضِ وتنقيتهَا منَ الحشائش الضـارة. انظر صورة رقم (٢ب).

صورة رقم (٢ ب): الحرث اليدوى والنقر بالمعازق.

٥ - البـذر:

بعـد الانتهاءِ من عملية حرثِ الأرض وتنظيفهَا من الكتلِ الطينيةِ كانت تبدأ عمليـةُ البذْرِ، وكان الفلاحونَ يقومونَ بصرفِ كمية البذورِ والحبوبِ منْ خزانَة الدولة ويأخذونهَا فى سلالهم التى يحملونهَا فى أيديهم أو يعلقونهَا فى رقابهم أو أكتافهـم. ثـم يقومونَ بنثْـرِ الحبوب فى التربَة، ولكى يتأكـدُوا من أنهَا قد انغرسَت ودفنت فى التربةِ فقد كانُوا يحضرون الأغنَامَ والماعزَ لأنها ذاتُ أظافرَ رفيعةٍ ويجعلونها تمرُّ على الأرضِ التى بهَا الحبوب فتدخلهَا فى التربة.

وبذلـك يضمنُ الفـلاحُ أن البذورَ بعيدة عن الطيورِ التـى تأكلهَا، كما أنهَا بإدخـالهَا فى التربـة تنمُو سـريعًا . وفـى عصـورٍ لاحقـة اختفتْ عمليةُ

استخدام الماشية، وبدأ الفلاحُ يستخدمُ زحّافةً خشبيةً لنفس الغرض. انظر صورة رقم (٢أ).

٦ - قياس الأرض:

ولكى يضمنَ المصرى القديمُ عدمَ التلاعب فى حدود الأرض كان يستخدمُ الحبلَ ذا العُقَد لمعرفة مساحة الأرض لتقدير الضرائب عليها، ونرى فى أحد النقوش فلاحًا فى حقله وقد نُقش بجواره اليمين التالى: «أقسمُ بالله العظيم رب السماوات إن الحدودَ صحيحةٌ فى مكانها».

٧ - الرى:

بعد بَذْر التقاوى بحوالى أسبوع أو أسبوعين تظهرُ البادراتُ (النباتات البازغة) والأغصانُ الصغيرةُ للنباتات، بعدها يبدأُ الفلاحونَ فى ريّ الأرض بنظام معين، فقد كانت الأرضُ المرتفعةُ عنْ مستوى النهر والترع والقنوات - وفى حالة الحدائق - كان ذلك يتمُ إما بالشادوف أو جرار (أوانى) الماء الفخارية، أو الطنبور أو السّاقية، وإن كان الطنبورُ قد عُرف فى العصر اليونانى على يَد أرْشميدس، ولذلك أطلق عليه «لوْلب أرْشميدس» أو «برّيمة أرشميدس» انظر صورة رقم (٣) التى توضح الرى بالشادوف.

صورة رقم (٣): رى الأرض بالشادوف.

٨ - الحصـاد :

بعـد أنْ يسـتوى الزرعُ على سُـوقه ويحينَ حَصَاده، يبـدأ الفلاحُ بقطع السـنابلِ بالمناجـلِ مـع أجـزاء صغيرة منَ السّـيقان إلى مـا يبلغُ ركبةَ الإنسـان. وكانت أيامُ الحصادِ بالنسـبةِ للمصرى القديـمِ تمثلُ أيامَ أفراحٍ وأعيـادٍ حيثُ نـرى فى المناظرِ عازفًا يعزف بالمزمـارِ ليطربَ الفلاحين ويُسَـرى عن نُفُوسـهم. كمـا نجدُ مغنيًا ينشـرُ الطرب والسـرورَ فى جو العمـل المرْهق، وهذه الصورةُ ما زالت موجودةً فى أيامنا هذه فى الريفِ المصـرى.انظـر صـورة رقـم(٤أ).

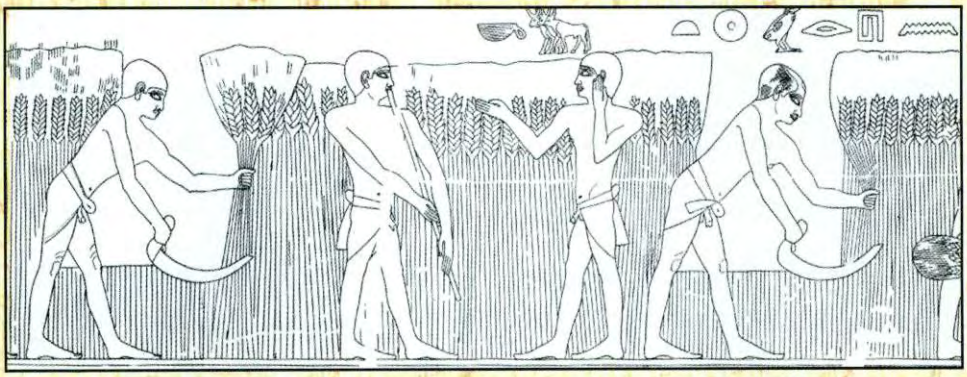

صورة رقم (٤ أ): رجلان يحصدان المحصول والثالث يغنى والرابع يعزف على الناى.

وبعـد الحصادِ كان يتم ربط هـذه النباتات وتحميلهَا على الحميرِ ونقلهَا إلى الجُرْن، ونظرا لقصرِ السـيقانِ فقد كانـت تُوضع الحزمُ متقابلةً بحيث تبقى أطرافُها إلى الخارج وتربطُ من وَسَطهَا، وكان الحصادُ يتمُ فى شهرَىْ إبريل ومايو.

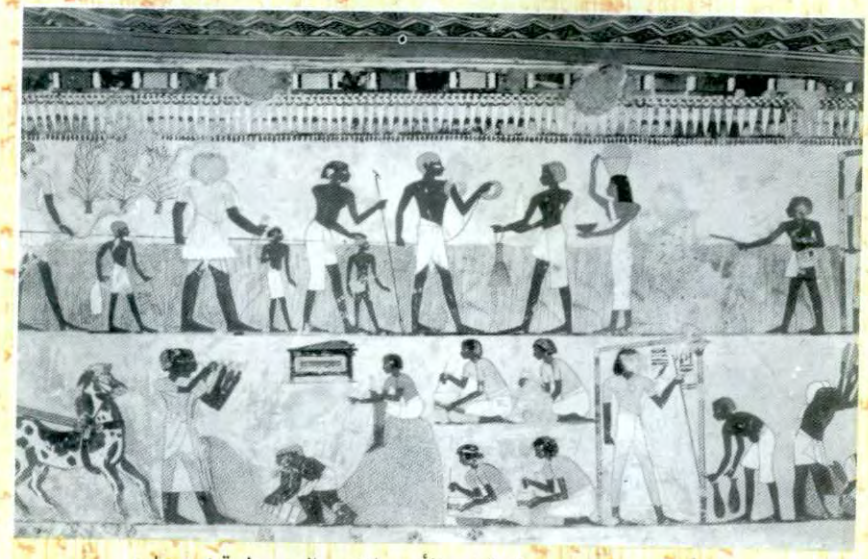

صورة رقم (٤ ب): منظر يمثل قياس الأرض لتقدير المحصول قبل حصاده والصف الأسفل يمثل تعبئة المحصول والكتبة وهم يقدرون كمية الحبوب.

٩ – دَرْس المحاصيل :

كان يوجدُ الجرنُ (كومة المحاصيل) فى مكانٍ فسيح مستديرٍ ومسْتو، وكان الفلاحون يقودُون الحميرَ والماشيةَ لتَطَأ الحبوبَ التى فى السّنابل، وكان هذا الأسلوبُ متبعًا فى الحضارةِ الفرعونيةِ كلّهَا حتى العصر اليونانى الذى ظهرَ فيه النُورجُ (أداة بها أسطوانات خشبية يجرهَا الحيوانُ وبها أسطوانات حديديةٌ حادّةٌ وكانت تستخدمُ حتى وقت قريب فى الريفِ المصرى)، كما استخدمَ المصرى القديمُ أيضًا المدقات فى دَرْس الحبُوب.

١٠ – التذرية :

بعدَ عمليةِ الدرس كان يتم جمعُ التبن فى كومةٍ عاليةٍ بمذْرَاه (شوكة) من الخشبِ لهَا ثلاثُ أسنانٌ ثم تبدأ عمليةُ تذْرية الحبوب لفصلهَا عن التبن وما عَلق بهَا منْ قاذورات، وهذه الأخيرة كان يُعهد بهَا إلى النسَاء غالبًا لأن هذه العملية بالرغم من أنها سهلةٌ بسيطةٌ إلا أنها تحتاجُ إلى الصّبْر.

وكان للرياحِ دورٌ هام فى عمليةِ التذْرية. انظر صورة رقم (٥-أ).

صورة رقم (٥ أ): عملية التّذْرية بالأيدى والجزء الأسفل يمثل عملية نقل المحصول على الأكتاف بعد حصاده.

صورة رقم (٥ ب): تذرية المحصول لتنْقيته من الشوائب.

صورة رقم (٥ جـ): تخزين المحصول فى الشونة.

١١ - التخزين وصوامع الغلال :

بعدَ عمليةِ التذرية كان يتمُّ غربلةُ الحبوبِ لتنقيتهَا ويأتى الكتبةُ ومعهم الكَيّالــون لتقديــرِ المحصولِ. بعدهَــا تأتى المرحلةُ الأخيــرةُ وهى تخزين الحبــوبِ فــى صوامع حيثُ يتمُّ نقلهــا إلى الصوامعِ بعــد أن تُكال، وكانت الصوامعُ مخروطيةَ الشكل صُنِعت منَ الطين، وأعلاها فتحة لإدخالِ الحبوب وبأسفلهَا فتحةٌ أخرى لإخراجِ الحبوب عند الحَاجة. انظر صورة رقم (٦).

صورة رقم (٦): تخزين الحبوب فى صوامع.

وقد عَرَف المصرى القديمُ تحميصَ الحبوب قبل تخزينها، وذلك بوضعهَا فى أوانٍ فُخارية تقامُ على أفرانٍ تُحمى بالوقود لدرجةِ حرارةٍ معينةٍ لتطهيرهَا من الحشراتِ وتخليصهَا من الرطُوبة، كما كان يتم إحكامُ غلقِ الصوامع لحمايتهَا من الفئرانِ والسُّوس. وكانت الطريقة المثلَى لتخزينِ الحبوبِ هى تركهَا فى سنابلهَا أو كيزانهَا مما يحفظهَا من التأثير المباشرِ للحرارةِ والرطوبة، وهذا يذكرنَا بما حدثَ مع سيدنا يوسفَ عندما قام بتفسيرِ حلم عزيز مصر.

• آلات الزراعة

منذُ أن اهتدى الإنسانُ إلى الزراعةِ وتربيةِ الحيوانِ وهو يحاولُ أن يزرعَ ويحصدَ المحاصيلَ بآلات وأدواتٍ تسهلُ عليه من صعوبةِ هذَا العمل الشاق وتوفرُ عليه الكثيرَ منَ الجهدِ. ففكر الإنسانُ فى استخدامِ الخاماتِ المحَلية وتطويرهَا، وما زالت فكرةُ الكثيرِ من هذه الأدوات مستمرة حتى اليوم رغمَ التطور.

وتروى الأساطيرُ المصريةُ القديمةُ أن الإلهة إيزيس زوجة الإله أوزيريس هى التى اخترعَتْ الآلاتِ والأدواتِ الزراعية وعلمتهَا للإنسان، ويوجدُ منذُ عصورِ ما قبل الأسرات آلتان أصليتان تخُصان الزراعة وهما الفأسُ والمنْجَل، وكان للأحجارِ والأخشابِ أثرٌ كبيرٌ فى تركيبِ هذه الآلات.

١ - الفأس أو المعزقة :

كان للبيئةِ المحيطةِ بالإنسان - كما ذكرنا من قبل - أثرٌ كبير فى اختيارِ الأدوات وأشكالهَا، فإذا نظرنَا إلى الفأسِ لوجدناهَا تشبهُ يدَ الإنسان (الكف) وقد صُنعت فى بداية الأمرِ من الصوان يُركّب فى يدٍ خشبية. وقد أخذت الفأسُ أشكالاً متعددة، فمنهَا ما كانَ له سلاح مُنْبسط (عريض) وهذه تستخدمُ فى حفْر وعزْق

الأرض الخفيفة وفى تطهير الترع، ومنها ما كان له سلاحٌ مُدبب وكانت تستخدمُ فى حفْرِ الأرضِ الصُلبة الجَافة، واستمر النوعُ الأول فى التطور حتّى يومنَا هَذا. أما النوع الثانى فقد تطورَ إلى ما يسمّى «الأزمة» كما وُجد نوعٌ ثالث من الخشب له شُعبتان مُدببتان.

لعبت الفأسُ دورًا كبيرًا فى حياة الفلاح، لدرجة أنّ المصرى القديمَ أطلق اسمها على أرضِ مصرَ التى أصبحَت تُسمى «تامرى» بمعنى «أرض الفأس» وربمَا كانت هذه الكلمة «تامرى» لهَا علاقةٌ بكلمة «دميره» وهى الفترة التى تكُون فيها الأرضُ مُعدّة للزراعةِ قبل يومٍ منَ الفيضان.

٢ - المحـراث :

يتكـونُ المحراثُ منْ سـكّين خشـبيةٍ يُثبت بها مقبضانِ من الخشـب ثم العريشِ الطويلِ (قطعة طويلة من الخشب) الذى يتصلُ بالمحراثِ فى جُزئه الأسْـفل (الخلفى) وينتهى فى جُزئه العلْوى (الأمامى) بخشبةٍ كبيرةٍ تُسمى (ناف) كانت تُربط إلى قرونِ الثوْرين اللذين يجُران المحراث.

وتَحْكـى لنا الأسـاطيرُ المصريةُ أنّ الذى علّم الإنسـانَ فكرةَ المحراثِ هو أوزيريـس ولو تأملْنا المحراثَ لوجدنَا فكرتَه مأخوذةً منَ الفأس، فهو فأسٌ مُكبرة، وقد أدى اسـتخدامُه إلى تطورٍ كبيرٍ فـى مجالِ الزراعةِ فخففَ من عبْء الفلاحِ وزاد فى كميةِ الأرض المزروعةِ وبالتالى زادَ الإنتاج.

٣ - المنجل (المحشّة) :

وهى أداة تشـبهُ المنشارَ ولكنها مُقوسـة وتُؤدى نفسَ وظيفَته، وقد عَرَف المصرى القديمُ المنجلَ منذُ عصور ما قبل الأسَـرات، وكان لمشـاهدةِ الفلاح

لفكّ الثور وهو يقطعُ الحشائشَ والقشّ أثرٌ كبيرٌ فى ذلك، حيث أوحَت له أن يصنعَ المنجلَ على هيئة فكّ الثور.

وقد كان المنْجلُ فى أول الأمر عبَارة عن قطعةٍ مُقوسة منَ الخشب تثبتُ بها قطعٌ رقيقةٌ منَ الصوان مصْقولة ومشرْشرة (مسننة) فى الجانبِ القاطع، وقد اسْتُخدم المنجلُ فى قطع السنابلِ بعد نضجهَا.

٤ - المذراة (الشوكة):

استخدمت المِذْرَاةُ فى جمْع المحصول عند دَرْسه ليكونَ أسفل أرجل الحيوانات أو فى جمعِ المحصولِ فى شكل كُومة بعد درْسه استعدادًا للتذْرية، كما كانت تُستعمل فى التذْريةِ لفصْل الحبوبِ عنِ التّبْن.

وتتكونُ المذراةُ من قطعةٍ خشبيةٍ على هيئة الكف يُذرّى بها الحَبُّ وبها أصابعُ تشبهُ تمامًا أصابعَ يدِ الإنسان مما يدلُّ على أنّ الإنسانُ أخذ فكرتها من فكرةِ اليد.

وبجانب المذراة كانت تستخدمُ أدوات مُساعدة لها وهى ألواحُ التذرية، وهى ألواحٌ خشبيةٌ مقوسةٌ قليلاً من الداخلِ على غرار اليد عند ضمّ الأصابع إلى بعضهَا البعض.

٥ - البلْطة:

استُخدمت البلطةُ لتنظيفِ الأرض منَ الحشائشِ الضارة وقطع الأخشابِ لاستخدمهَا فى أعْمالِ النجَارة، وكانت تصنعُ فى بادئ الأمرِ من الظُّرّان (الصّوّان) ثم من النحاسِ المثبتِ فى يدٍ خَشبية. انظر صورة رقم (٧).

صورة رقم (٧): شخص يقطع الأخشاب باستخدام البلطة.

٦ - النُّـــورج:

بدأ اســتخدامُ النورج منذُ العصر اليونانــى والرومانى فى درْس الحبُوب، ولكنّ المصريين كانوا قد اســتخدمُوا الحيواناتِ لهذَا الغرض وقد ذكرْنا ذلك عند عملية الدِّرَاس فيما سبق.

٧ - الزّحّــافة:

وهى قطعةٌ خشبيةٌ كبيرةٌ إلى حد ما، كانت تُستخدم لتغطيةِ الحبوب بعد الحرثِ، وكانت تسحبُ مثل الزحافةِ التى فى أيامنا هذه.

• أهم المحاصيل الزراعية

أولاً : المحاصيل الحقلية :

١ - القمح :

كان القمحُ أقدمَ وأشهرُ النباتات التى زُرِعت فى وادى النيل، وقد اكتشفَ القمحُ البرى المعروف باسم (إمر) فى بادئ الأمر فى سوريا وفلسطين والعراق وإيران وأثيوبيا، وقد انتقلَ القمحُ من تلك المناطق إلى مصر ودول أواسط أوروبا، حيثُ كان المحصول الرئيسى لتلكَ المناطق، هذا رأى منَ الآراء ولكن هناك رأيًا آخر يرى أن هذا القمحَ البرى (الحنطة) قد وُجد فى مصرَ منذُ أقدم العصورِ حتى أن المصْريين ربطُوا بينهُ وبين أوزيريس.

والشىءُ الذى يجبُ ذكره أن القمحَ لم يُعرف فى بادئ الأمر كما هو الآن بل وُجد نباتًا بريًّا واجتهدَ الإنسانُ فى تحسينه، وبذَل جُهدًا كبيرًا فى تطويره واستخلاصِ الأنواعِ الصالحةِ لغذائه.

٢ - الشعير :

يرى بعضُ المؤرخين أنّ الشعيرَ هو أولُ الحبوبِ التى عرفهَا المصريونَ القدماءُ وانتشرَ منها إلى فلسطين والعراق، وأنه كان المحصولَ الرئيسى للصعيدِ واسْتُخدم فى الأكلِ وَوُجد فى المقابرِ مُختلطًا بالقمحِ، وقد عَرَفت مصرُ منه أنواعًا عديدةً.

٣ - الذرة الرفيعة :

اختلف العلماءُ حولَ كونِ مصرَ قد عرفت الذرةَ الرفيعةَ أم لا، وإن كان الأرجحُ أن زراعتهَا كانت معروفةً فى مصرَ الفرعُونية.

٤ - الفـــول:

عُرف الفولُ فى مصرَ منذُ الأســرة الأولى، وقد ذكر هيرودوت أنّ أكله كان مُحَرمًا فى بعض الجهاتِ وهو قولٌ مرفوضٌ وغيرُ صحيح.

٥ - العـــدس:

عرفــت مصرُ العدسَ منذُ أقدم العصور، ويــرْوى هيرودوت أن العدسَ كان معروفًا منذُ عصر الأهرام حيث كان يُقدّمُ طعامًا للعمال الذينَ بنَوْا الأهرام.

٦ - البرســيم:

عُرف البرسيمُ فى مصر ولكنه وردَ إليها من بلاد آسيا مع نهايةِ الدولةِ الحديثة.

٧ - الكتــان:

لقد اشــتهرتْ مصرُ بزراعتِه حيث كانت تســتخرجُ منه الزيوت وزيته هو أقدمُ الزيوت التى عَرفها المصريونَ القدماءُ منذُ عصورِ ما قبل التاريخ، وكانت له قيمةٌ عاليةٌ فى الغذاءِ والطبِّ والتدليكِ والعطورِ والإضاءة. أما الكتانُ نفسُه فقد استخدم أيضًا بصفةٍ أساسيّةٍ فى الأقمشةِ وعملياتِ التّحْنيط.

٨ - الخــس:

وهو معروف فى مصرَ منذُ الأسرة الرابعة، وكان يُستخرجُ من جذورِه زيتٌ كان يَستخدمُ فى الطعامِ والتدْليك، وعُرِفت خواصُّه فى تقويةِ الأجسام.

٩ - الحنــاء:

جاءتْ إلى مصر من غربِ آسيا، ويرى بعضُ العلماءِ أن ذلك حدثَ فى عصر الدولةِ الوســطى، وكان الهكســوس يقدسُونها، وقد اسْــتُخدمت فى عملياتِ التحنيطِ وعملياتِ الزينةِ فى الأيدى والأظافرِ والأقدامِ والشعر.

ثانيًا : نباتات الألياف :

١ - البردى:

أشهر النباتات التى عرفتها مصرُ دون غيرها من دول العالم القديم، وقد اسْتخدمه المصريونَ القدماءُ فى مجالات عديدة، فقد كان يتم نزعُ سيقانه من الأرض ويقطّعُ أسفلُهَا إلى قطع متساوية الطول وتُربط وتُحزّمُ، أما السيقانُ المتوسطةُ فقد كانت تُربط على هيئة حِزَم يحملونهَا على ظُهورهم ويذهبونَ بها إلى المكان الذى يُريدُونه.

وقد استُخْدم البَرْدى فى صناعة المراكب الخفيفة، أما السيقانُ الرفيعةُ جدا فقد كانت تشقُّ إلى نصْفين بالطول وتستخدمُ كأربطة لحزْم الرّبطَات، كما استُخْدم البرْدى فى صناعة الورق، ويجدرُ بنا هنا أنْ نعطى نبذةً عن صناعَة الورق من البرْدى.

كان الورقُ يُصنع من النخاع الليفى للبرْدى الذى كان يعطينا ورقًا أبيضَ لَدن لايمتصُّ الرطوبةَ ولا يصفرُ إلا قليلا بمرور الزمن منذُ عصور ما قبل التاريخ. وكانت تتم صناعةُ الورق من البردى بالطريقة التالية: تقطّع الساقُ طوليًا إلى جزأيْن حسب طول الصفحة، ثم يُشَقُّ النخاعُ الليفى بسكين ويُدَقُ بمدَقّة، ثم تُرصّ الشرائحُ الناتجةُ عن شقّ النخاع جنبًا إلى جنْب فى طَبقتين واحدة فوقَ الأخرى وعمُودية عليهَا ثم يرشُ الماءُ على الطبقتيْن فى بعض الأحيان، وتُدَقُ الطّبَقَتَانِ معًا لمدة طويلة، وبشدة بعد ذلك تُلصق الأطرافُ الطويلةُ للصفحات معًا.

٢ - القطن:

اختلف العلماءُ حولَ تاريخ دخول القطن إلى مصرَ وزراعته، فيرى البعضُ أنه كان يُزرعُ منذُ عصرٍ قديمٍ ويَرَى الآخرونَ غيرَ ذلك.

ثالثًا : المحاصيل البستانية :

كان يُلحق بمنازل الأغنياء حدائقُ جميلةٌ صُوّرت على جدران بعض المقابر، وكانت هذه الحدائقُ مكانًا للتسْلية والأغانى الجميلة وإقامة الوَلائم، وكانت تحتوى على أشجار النخيل والعنب والتين وغيرهم وكان يتوسطها بحيرةٌ (بركة). انظر صورة رقم (٨).

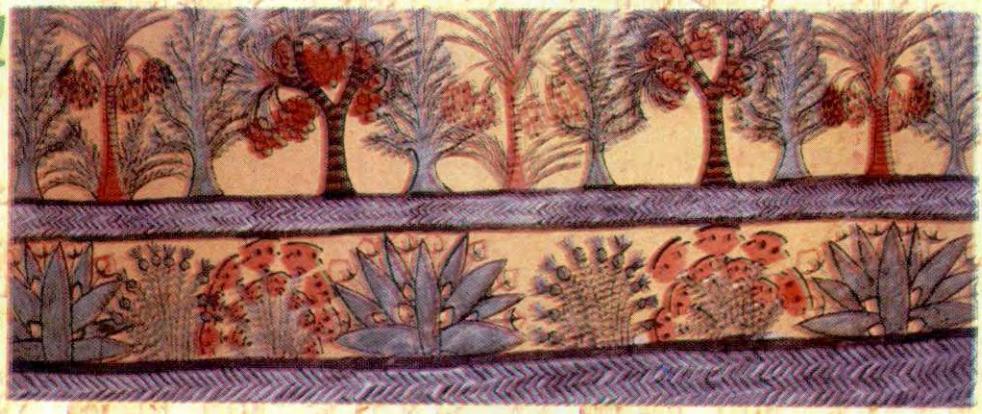

صورة رقم (٨): مجموعة من الأشجار والنباتات لها شكل جميل وتتخللها الأنهار والترع.

ونرى فى المناظر التى تمثلُ الحدائقَ زراعة الخضر وجنى التين والعنب وعصْره وتحضير عسل النحل واستخراج الزيوت وغير ذلك، كما كانت تُوجد مجموعةٌ من نباتات الزينة والأزهار مثل العنبر والنرجس والزئبق الأبيض والخشْخاش وكانت هذه الأزهار تقطفُ وتُوضَعُ فى زهريات منْ كل الأنواع انظر صورة رقم (٩)، كما كانت هذه النباتاتُ تشكّلُ على هيئة أكاليلَ للأميرات وكذلك الحيوانات التى تقدمُ لتذبحَ فى الولائم، لما لها من رائحة طيبة وشكل جميل.

صورة رقم (٩): كانت النباتات (خصوصًا نباتات الزينة) تقدم ضمن القرابين إلى الآلهة.

وقد صُوِّرت عملياتُ رى الحدائق على جدرانِ المقابر، فنرى أنهم استخدمُوا القواديسَ (جرار أو أوانى من الفخار) والشادوف، وفى حالاتٍ كثيرةٍ كانوا يستخدمُونَ دلْوَيْنِ يُحملاَن على نِيرٍ من الخشبِ على أكتافِهم، كما ظهرت أيضًا الأحواضُ المائيةُ وبها النباتاتُ المائية. انظر صورة رقم (١٠).

صورة رقم (١٠): طريقة لرى الحدائق من خلال دلوين معلقين فى قطعة من الخشب على كتفى الفلاح.

ومن أشهرِ نماذج الحدائق ما هو موجود بالمتحفِ المصرى وهما نموذجَان يخصّان رجلاً يدعى «مكت رع» من الدولة الوسطى، وقد أحاط الحديقة بسورٍ

يحجبها عن الناظر من الخارج، وصَنَعَ البِرْكَة (البحيرة) من النحاس ليسهل وضْع ماء حقيقى فيها، وأحاطها بأشجار الفاكهة، ثم أنشأ أمامها إيوانًا عظيمًا بأعمدة لها ألوانٌ زاهية.

كما كانت هناك حدائقُ ملحقة بالقصْر الملكى والمعبد وكذلك القُبور، وهذا النوعُ الأخيرُ وردَ ذكره فى قصة سُنوهى الشهيرة، ولم تكنْ هذه الحدائق كبيرة نظرًا لوجودها فى الصحراء حيثُ لا يُوجد ماءٌ وفير.

رابعًا : النباتات الطبية :

عُرفت النباتات الطبيةُ منذُ عصور ما قبل التاريخ، وكان الإنسانُ الأولُ على دراية تامة بفائدتها، وكان أجدادنا القدماءُ من أوائل الشعوب التى اهتمّت بها، فقد كانُوا أولَ منْ مارسَ الطبّ على أسس سَليمة، ولا تزال كُتُبُهم الطبية تشهدُ بذلك. وقد استخدمُوا المراهمَ والدهونَ والحبوبَ والاستنشاقَ والحقنَ الشرجية وتعددت وصفاتُهم لبعض الأمراض.

وقد ذكر مؤرخُو اليونان أن المصريين استخدمُوا النباتات التى لها فائدةٌ طبية، كما اعتمدَ المصريونَ القدماء فى تحنيط جثث الموتى على بعض النباتات كالكتان والحنّاء ونبيذ البلح ونشارة الخشب وزيت خشب الأرز وثمار العرْعر والبصل وغيرهم لحفظ الجُثة من التلف والتعفُّن. كما اشتهرت أشجارُ السنط والصفصاف والأبنوس والبلح والجميز.. الخ.

موارد المياه :

أدرك المصرى منذُ أقدم العصور أن ماءَ النهر هو عمادُ الحياة، وأن مصرَ لا تسقطُ بها أمطارٌ إلا نادرًا، ولذلك فقد اهتم بالنهر وشقّ القنوات والترع حتى أصبحَت مصرُ شبكةً منَ القنوات، وبذلك كان لديه عدةُ مصادرَ للمياه أهمها :

١ - النيـــل:

كان النيـــلُ - كما ذكرنا من قبل - شـــريان الحياة فى مصرَ ولو توقف هذا الشريانُ لتوقفت الحياةُ تمامًا ولأصبحَت مصرُ أرضًا صحْراوية جَدْبَاء لا زرعَ فيها ولا ماء. لذلك اهتم المصرى القديمُ بالنيل وفيضانه، وكان يقيمُ مقاييس لقياسِ مستوى المياه وتقدير حجْم الفيضان.

وكان المصرى القديم يعتقدُ أن نهرَ النيل ينبعُ من كَهْف يُوجد فى جزيرة «الفنتيـــن» وجزيرة «فيلَة» بأســـوان، وبالتالى فقد تخيـــلَ أن النيلَ ينبعُ من مصْدريـــن، وعندما اتجه المصريـــونَ إلى الجنوب وتخطـــوا حدودَ الأراضى المصْريـــة اكتشـــفُوا عدمَ صحة هذا الاعتقاد، وأن النيـــلَ ينبعُ مِنْ بعْد ذلك، كمـــا تدل الأحـــداثُ التاريخيةُ أن المصريينَ قد فتحُـــوا بلادَ النوبة ليضمنُوا منابعَ النيل، وعندمَا زار هيرودوت مصرَ وســـأل عن النيل وعن مصْدره ذكر له المصريونَ أنه ينبعُ بين جبلين اسمهما «كروفى» و «موفى» وهذان الجبلان يُوجدان بين طيبة (الأقصر) وجزيرة الفنتين (فى أسوان).

لكنّ المصادرَ الأساســيةَ ومنابعَ النيل الحقيقية هـــى البحيرات الأثيوبيّة الثـــلاث (بُحيْـــرة فيكتوريَا - بحيرة ألبرْت - بحيـــرة إدوارد) وتَصبُّ هذه البحيرات فى نهر الغزال الذى تتبعهُ بحيرة «نون» ونهر «السُّوباط» والنيل الأزرق وعطبرة الذى هو آخر الإمدادات التى تعطى النيل ماءً.

أمـــا فروعُ النيل فـــى الدلتا والتى يصبُّ بها فى البحر الأبيض المتوســـط، فقد كانَ للنيل سبعة أفرعٍ ذكرها المؤرخُون القدامَى وهى: الفرع البوباسطى (ترعة أبو النجا شـــرق الدلتا) والفرع المنديســـى (بحر أشمون الرمان وكان يصـــبُّ فى بحيرة المنزلة) والفرع التانيســـى (بحر مُويـــس الحالى) والفرع

الفاطمى (فرع دمياط) والفرع السبتى (ترعة مليج) والفرع البلبيتى (كان يخرج من عند بلدة الرحمانية) وأخيرًا الفرع الكانوبى (فرع رشيد).

وعندما يجىء الفيضانُ كان المصريونَ القدماء يقيمونَ الأفراحَ والاحتفالاتِ بهذه المناسبَةِ وكان ذلك يحدثُ كلّ عام حيثُ كانت تقامُ الصلواتُ وتُتلى له الدعواتُ، فقد عبدُوه وقدسُوه، ومَنْ منا لا يفرحُ عندما يرى الخضرةَ ويشقها ويرويهَا نهرُ النيل، الذى نتمتعُ على مَتْنِهِ حتّى اليوم عندما نقومُ بنزهةٍ نيليةٍ بالمراكبِ فى المناسبَاتِ.

٢ - مشروعات الرى:

كانَ النظام المستخدمُ فى رى الأراضى هو نظام «ريّ الحيَاض» وكان يتمُّ من خلالِ تقسيم الأرضِ إلى أحواض يتم ريهَا حوضًا بعدَ الآخر، وذلك بإقامة سدود على امتدادِ النيل على مسافاتٍ مُعينة، وكلّما تمّ رى حوضٍ فإنه يفتحُ السد ليروى الحوضَ التالى وهكذا.. كان ذلك النظامُ سائدًا فى الصعيد أما الفيوم والدلتا فكان لهمَا نظامٌ آخر، حيث استُخْدمت الفيومُ - خلال عصر الدولة الوسطى - كمخزنٍ طبيعى للمياهِ من خلالِ سدٍّ أقيمَ عند بلدة اللاّهون يسمحُ بدخولِ المياه عندَ الفيضانِ وعندما تنحسرُ المياهُ ويأتى وقتُ التحاريق يتم فتحُ هذا السد فيصبُّ المياهَ فى النيلِ مرةً أخرى.

اعتمد الرىُّ فى مصرَ القديمة على إقامةِ شبكةٍ من القنواتِ التى تستخدمُ فى الرى والتنقلات، وترجعُ أصولُ هذه القنوات إلى أيام الملك العقرب (أحد الملوك الذين ساهموا فى توحيد مصر وتكوين الأسرة الأولى) حيثُ نراه مُصَورًا وهو يقومُ بفتحِ أحدِ هذه القنواتِ بصفةٍ رسْميّة. انظر صورة رقم (١١).

صورة رقم (١١): الملك العقرب يفتتح مشروعا مائيًّا.

وفى فترة التحاريق استخدمَ المصريونَ القدماء المخزونَ الطبيعى من المياه الجوفيـة لرى الأراضى الواقعة على مسـافات بعيدة مـن مجْرى النيل، أما الواحاتُ فقد كان لها آبارٌ جوفيةٌ استغلهَا القومُ فى أعمالِ الزراعة.

• الصناعات الزراعية

نشاهد العديدَ من الصناعاتِ القائمةِ على الزراعةِ (القائمة على المنتجات الزراعية) مصورًا على جدرانِ المقابرِ على مرّ العصورِ الفرعَونية، وأهم هذه الصناعَات:

١ - صناعة النسيج :

يذكرُ هيرودوت أنّ مصر القديمةَ كانت أشهر بلادِ العالم القديم فى صناعة النسيج، وقد اعتمدت هذه الصناعةُ على الكتانِ بصفةٍ - أساسية -، وكان النساءُ هؤلاء اللاّتى يَقُمْنَ بهذه الأعمال خلال فترة الدولةِ القديمةِ، أما فى عصر الدولةِ الحديثةِ فإننا نجدُ الرجالَ هم الذينيقومونَبهذهالصناعة.

لقد صُورت الأطوارُ والمراحلُ التى يمر بها النباتُ من تعطينٍ ودقٍّ وتمْشيطٍ وغزلٍ ونسجٍ، على جدرانِ الكثيرِ من المقابرِ وبصفة خاصة على جدران مقابرِ بنى حسن بمحافظة المنيا، كما عُثر على أنوالٍ للنسيجِ منها نموذج موجُود فى متحفِ برلين بألمانيا.

٢ - صناعة الورق:

ذكرنَا من قبلُ عندَ حديثنَا عن البرْدى طريقةَ صناعةِ الورق، ويهمنَا الآن أن نذكرَ أنّ مصرَ كانت أولى دولِ العالمِ القديم التى صنعَت الورقَ ونقلته عنها باقى الدول كما كانت تصدّره إلى تلكَ البُلدان، وكان أشهرُ مركزٍ لصناعةِ الورقِ منَ البرْدى هو مدينةُ صانِ الحجرِ شرق الدلتا.

٣ - صناعة السلال وجدل الحبال :

اعتمدت هذه الصناعةُ على جَدْل خُوص النخيل والدوم وتضْفيره، وكان يستخدمُ أحيانًا نباتُ الحلفا ونباتُ البردى والكتان، وأما جدْل الحبال فقد كان يعتمدُ على ليف النخيل ونبات الحلفا والبرْدى والحشائش الطويلة الصلبة، واستُخْدمت فى الربط والحزم وحمْل البردى لصناعة القوارب.

كما اعتمدت السلالُ أيضًا على عيدان البُوص والأشجار وكان هذا نوعًا آخرَ منَ السّلال، وكان للسلال أشكالٌ مختلفةٌ أهمها على هيئة الأطباق للمأكولات الجافة وعلى هيئة القوارب، كما استُخدمت السلالُ أيضًا فى عُصور ما قبلَ التاريخ كتوابيتَ صغيرة لدفن الأطفال الموتى، وصُنعت أيضًا على هيئة صناديقَ صغيرةٍ لحفظ الأدوات المنزلية وكذلك المجوهرات.

٤ - صناعة الخبز:

من أهم الصناعات الغذائية التى اعتمدت على المنتجات الزراعية، وكانت المادةُ الأساسيةُ هى القمح أو الشعير، وقد كان الخبزُ - وما زال - هو أساس الغذاء فى مصرَ، وكان أيضًا جزءًا أساسيًّا من مرتبات الموظفين وأجور العمال.

أما صناعةُ الخبز فقد كانت تتم كما يلى:

تُؤخذُ الغلالُ من المخزن وتوزنُ وتنظفُ بالغربال وتُنقى من الغبار والمواد الغريبة مثل عملية الطحْن، بعدَ ذلك تأتى عمليةُ طحن الحبوب لتحويلها إلى دقيق حيثُ كانت تُطحَنُ فى هاونٍ منَ الحجر بواسطة مِدَقّات، وقد عثرَ على مراحى منذُ عصورِ ما قبل التاريخ عبارةٌ عن حجَرين أحدهما كبير مُجوف، كانت توضعُ به الحبوبُ، أما الآخرُ فكان صغيرًا وهو الذى يُسْتخدمُ فى الدّقّ.

كان طحنُ الحبوبِ يعتبرُ من الأعمالِ الحقيرة وكان يقوم بها السيداتُ غالبًا. وبعد أنْ يتمّ طحنُ الحبوب تقومُ المرأةُ بنخْلِ الدقيق لكى تفصل الردّةَ عن الدقيقِ الناعم، ثم تقوم سيدةٌ أخرى بإعدادِ الدقيقِ وصنْع الخبزِ العادى، بينما يقوم الرجالُ بالعجينِ فى أوانٍ كبيرةٍ، وكان الخبازونَ يستخدمونَ أيديَهُم لتقطيعِ العجينِ إلى قطعٍ مختلفةِ الأحجَام، وبذلك يُنتجُ شكلُ الرغيفِ الذى كان يُوضع على صينيةٍ عليها دقيقٌ خفيفٌ يمنعُ التصاق الرغيفِ بالصينية.

٥ - صناعة النبيذ :

عرفت مصرُ ستةَ أنواعٍ من النبيذِ على الأقل، من بينها الأبيضُ والأحمرُ والأسودُ ونشاهدُ على جدران المقابرِ العديدَ منَ المناظرِ التى تمثل زراعةَ الكُروم، وقد كانت عمليةُ صناعة النبيذِ تبدأ بجنْى العنبِ الناضجِ ووضْعه فى سلالٍ يتمُّ حملُها إلى المعصرةِ التى كانت عبارة عن حوضٍ طويل منخفضٍ يحيطُ به دعائمُ من الخشب، وتأتى مجموعةٌ من الرجالِ يهرسُون العنبَ بأقدامهم، وإذا تبقّى شىءٌ فإنهم كانوا يقومونَ بوضْعه فى كيسٍ كبيرٍ يتمُّ ربطُه ولفه بقطعةٍ منَ القماش تعصرُ بعد غسلهَا وتوضعُ بها قطعتانِ خشبيتانِ فى الثقبين الموجودينْ فى نهايتى الكيس ثم يقومونَ بلفِّ الخشبتين فى اتجاهيْن متضادينْ، كما أنه منَ الطريفِ أن نجدَ بعضَ القرودِ وهم يساعدونَ الرجالَ فى هذه العملية، بعد ذلك يقومونَ بملْءِ الجرارِ بالنبيذِ ويتم ربطُها وإحكامُ غلْقها بسداداتٍ من الطينِ ثم يقومُ موظفُ الخزينةِ بختْمها. انظر صورة رقم (١٢أ - ب - جـ).

كان النبيذُ يصنعُ أيضًا منَ البلح، وقد استُخدمَ لأغراضٍ طبيةٍ عديدة، كما كان يقدمُ كقربانٍ للآلهة.

صورة رقم (١٢ أ): جنى العنب لصناعة النبيذ.

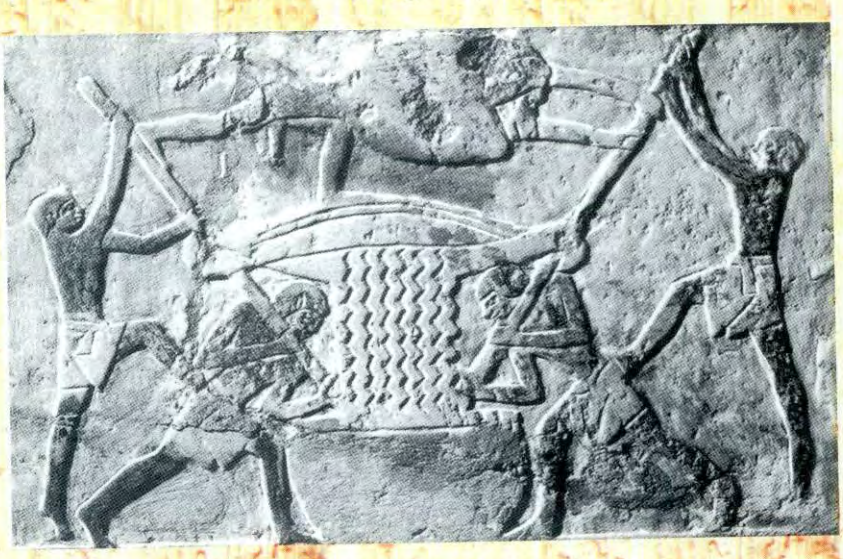

صورة رقم (١٢ ب): القرد يساعد فى عصر العنب.

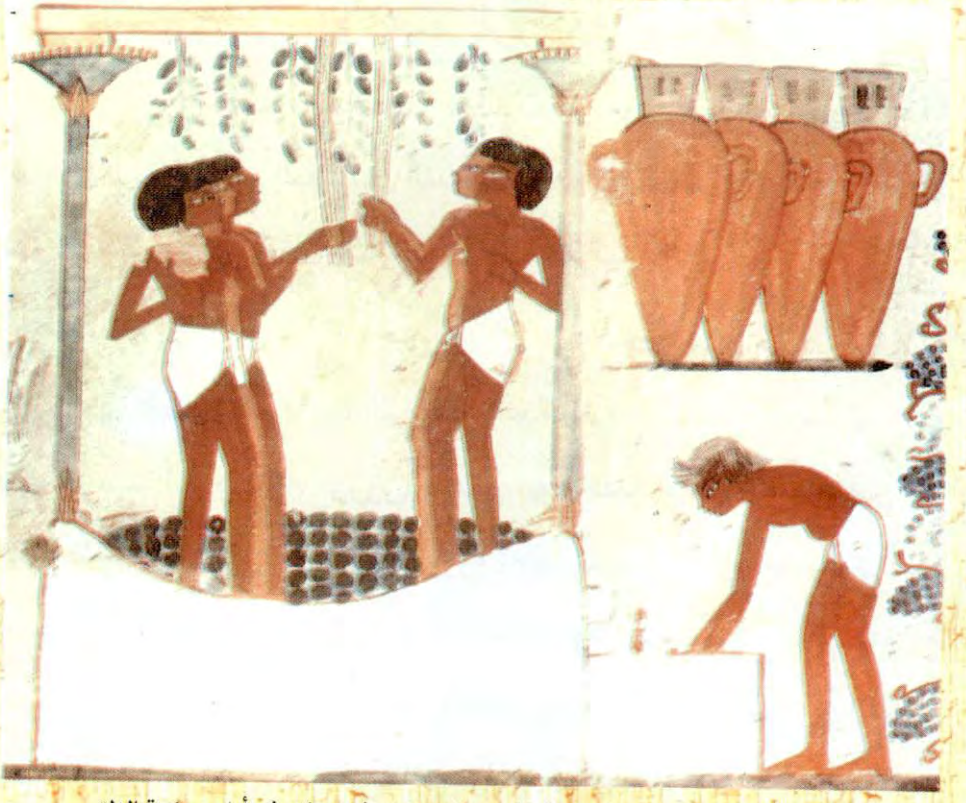

صورة رقم (١٢ جـ): عصر العنب فى المعصرة وتصفيته ثم تعبئته فى أوانٍ محكمة الغلق.

٦ - تجفيف الفاكهة :

لقد برعَ المصريونَ القدماءُ فى تجفيفِ الفاكهةِ وحفظهَا لاستخدامهَا فى أوقاتٍ لاَحقة، وأهم هذه الفاكهة: العنب الذى كان يصنعُ منه الزّبيبُ، والبلحُ الذى كانت تصنعُ منه العجوةُ والحلوى، وكذلك التينُ والجميزُ والنبقُ وغيرُهم.

الأعياد الزراعية

نظـرًا لأنّ الزراعـةَ كانت حِرفةَ معظم المصريين، كمـا كانت توفرُ الغذاءَ للشعبِ كُلّه، فقد كان المصريونَ القدماءُ مُغْرمين ومُهتمين بأعيادهَا واحتفلُوا بهَا احتفالاتٍ عظيمةً كان يشاركُ فيهَا الشعبُ كلُّه والكهنة.

عيد النيروز:

من هذه الأعياد: أعيادُ بدء السنة الزراعية التى سُميت فى العصر الفارسى باسـم «عيد النيروز» (أو نوروز) بمعنى «يوم جديد أو عام جديد» وقبل هذَا اليوم كانت تبدأ أولى الأعيادِ عند بزوغ نجم «سريوس» أو «سُبد» الذى أطلقَ عليه العربُ اسـم «نجم الشـعرى اليمانية».. وكان بزوغُ هذَا النجمُ يتفقُ مع مجـىءِ الفيضانِ وقد ارتبـطَ بعيد الإلهة إيزيس حيثُ اعتبـرُوا أنّ الفيضانَ كان عبـارة عن قطـراتِ الدموع التى نزلتْ مِنْ عينها عندما بكتْ على أخيهَا وزوجهَا أوزيريس الذى قتله أخُوه الشرّير ست.

عيد وفاء النيل:

يأتى بعدَ ذلك عيدُ «وفاءِ النيل» حيث يرتفعُ النيلُ وفيضانُه بشكلٍ مناسبٍ فـلا يصابُ النـاسُ بالعطش ولا يغرقُـون، ويبدأ العيدُ بخـروج الناسِ إلى المعابد، بعدهَا تبدأ السـنةُ الزراعيّةُ بشكلٍ فعْلى، وكان للملكِ دورٌ فى ذلك الاحتفال فقد كان أول واحدٍ يخطُ الأرضَ بالمحْراث ليعلنَ عن بدايةِ العمل - كما كان يحتفلُ فى تلكَ الأثناء - الإله أوزيريس الذى يرمزُ للدورةِ الزراعية والذى كان أول من علّم الناسَ الزراعة.

عيد الحصاد:

أمـا أهم الأعياد علـى الإطلاق فهو عيدُ الحصادِ وقـد كان يتمُّ فى أرجاء مصرَ كلّهَا، وكانت هناك ربةٌ للحصَادِ وتسـمى «رنوتت»، ويبدأ الاحتفالُ عند نهاية عملية الحصادِ، فيظهـرُ موظفَانِ أحدُهما «كاتب الصّوَامع» والآخر «الذى يكيلُ الحبُوب» ويقومان بمسْـرحية أو تمثيليـة تحْكى قصةَ أوزيريس مرورًا بحياته ومقْتله على يد أخيه الشرير ست ثم دفْنه وبعْثه من جَديد.

عيد شم النسيم:

ومـن أهـم الأعيادِ المتعلقةِ بالزراعة أيضًا عيدُ شـمّ النسـيم والذى ما زال الناسُ يحتفلونَ به فى مصرَ حتى يومنَا هذا، ويمثلُ هَذا العيد فترة الانقلاب الربيعـى (الفترة التى يتسـاوى فيها الليل والنهار) ويتـمُّ هذا فى يوم ٢٥ برمهـات، وكان المصريـونَ القدمـاءُ يعتقدونَ أنّ هذَا اليـومَ يمثلُ بدء خلقِ العَالم، وسُـمى أيضًا عيدُ الربيع ويشـاركُ فيه الملـكُ والوزيرُ وكبارُ رجالِ الدولة. وكان الناس فى ذلك اليوم يسـتيقظُون مُبكرًا ويخرجُون إلى الحقولِ والمزارعِ والأماكنِ العامة، وكان البيضُ وما زالَ أحب الأطعمةِ لدى المصريينَ فى ذلك اليوم، بالإضافةِ إلى السـمكِ المملّح (الفسيخ) والبصلِ والخسّ ولحمِ الأوز المشوى، وما زالت هذه الأشياءُ تعيشُ بيننا حتى يومنَا هذا.

السنة الزراعية:

أما بالنسـبة للسنة الزراعية فقد قسمهَا المصريونَ إلى ثلاثَة فصولٍ وليسَ أربعة كما هو الحالُ اليوم، وكان الفصلُ الأولُ يبدأ مع مجىء الفيضانِ ولذلك أطلق عليه اسم «فصل الفيضان» ويليه الفصلُ الثانى «فصل البذْر»، أما الثالثُ فقد كان يُسـمى «فصل التحَاريق» أو «فصلُ الحصَاد». كما كان كلُّ فصلٍ ينقسمُ إلى أربعةِ أشهرٍ وكلُّ شهرٍ إلى ثَلاثة أسَابيعَ وكل أسبوعٍ إلى عشرة أيام.

• الفلاح المصرى القديم :

إذا كان لمصرَ أنْ تفخرَ بأنهـا صاحبةُ أعظم حضارة فى العَالم وبأنهَا أولى الحضارات التى عَرفت الزراعةَ فإن هذا الفخرَ وهذا الفضلَ يرجعُ إلى الإنسان الـذى أفنى حياتَه فى الحفاظ على الأرض الزراعية وأعطَاها كلّ وقته لتجودَ عليه بالخيرات ووفّاهَا حقهَا واخترعَ الوسـائلَ والأدوات التى زرعَ بها هذه الأرض وطورهَا على مرّ العصُور، وذلك الإنسانُ العظيمُ هو الفلاح.

ومن الصعب تحديد وتَقْييم مكَانة الفلاح الاجتماعية فى مصرَ القديمة بالرغم من أنه عمادُ الاقتصاد وعمُوده، فعلَى صعيد نجدُ الكاتبَ المصرى القديمَ يسخرُ منه ويَسـخَرُ من مهنة الزراعة ويُحقّرها حيثُ يذكرُ أن الفلاحَ يظلُّ طيلةَ العام يزرعُ ويعتنى بزرْعه فى الشـمس الحَارقة، ويأتى وقتُ الحصاد فيجد الفئرانَ والطيـورَ قد أكلت حُبوبه ولم يبْقَ من المحصول شـىءٌ ويأتى جامعُو الضرائب لتحْصيل ما عليه منْ ضرائبَ فلا يسـتطيعُ أداءهَا، فيطرحونه أرضًا ويوسعُونه ضربًا، وللأسـف فإن حـالَ الفلاح كذلك على مر العصور مـن الناحية المادية مقارنـةً بالوظائف الأخرى. وعلى صعيـد آخر فإننا نجدُ هيرودوت يمجدُ هذا الفلاحَ ويُعلى منْ شأنه. انظر صورة رقم (١٣).

لقـد ارتبـط الفلاحُ بـالأرض فكان ينتقلُ معهـا من مالك لآخـرَ كأنه جزءٌ منَ الممتلـكات، وإذا قصّـرَ فـى أداء عمله فإنّ جـزَاءَهُ الضّرْب، وقـد كانت طبقةُ الفلاحين تمثلُ الغالبيةَ العظْمى من الشعب، ولكنها لم تكنْ تتكلمُ بصوتهَا لأنهَا كانت تجهلُ القراءةَ والكتابة، وبالرغم من ذلك فإنّ لدينا مَا يثبتُ أنه كان يُوَفّرُ له السـكنُ المناسبُ والطعامُ المناسبُ بالإضافة إلى التعيين السنوى من الملابس والزيوتِ والعدس، وكان يتمُّ تخفيضُ ساعات العملِ عندما يكونُ الجوُّ حارًّا.

أما عن ملابس الفلاح فقد كانَ يرتدى ثلاثةَ أنواعٍ من الملابس وهى:

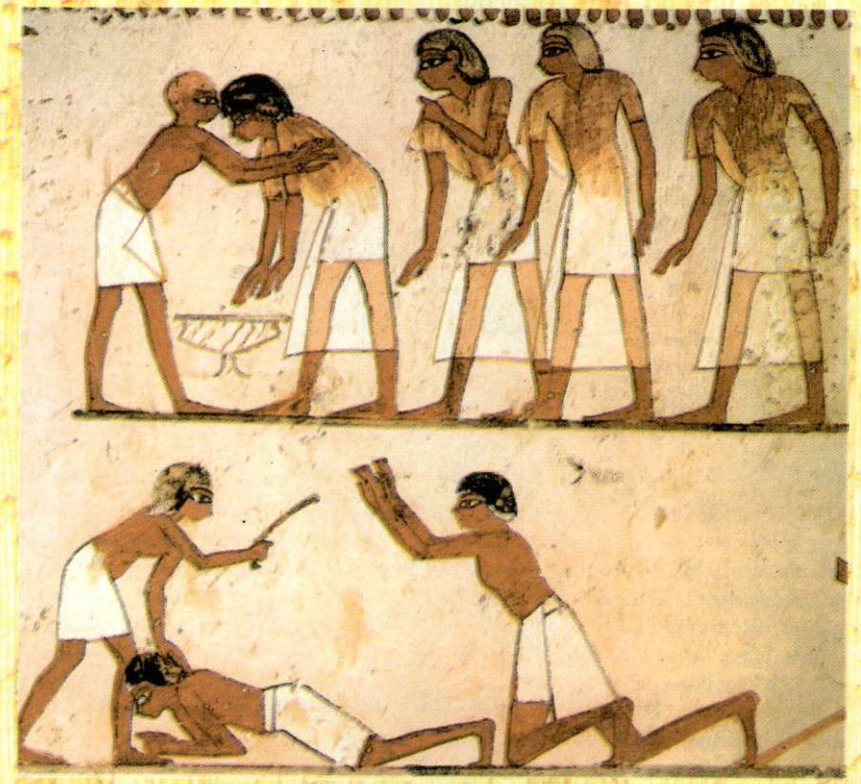

صورة رقم (١٣): جامِعُو الضرائب يضربون أحد الفلاحين لتهربه من دفع ما عليه من ضرائب مقررة.

نقبة ذات ثلاث قطع مستطيلة، ونقبة صغيرة، ونقبة مفتوحة تعطيه الحريةَ فى الحركة، كما كانوا يحلِّقُون شَعرهم وذلك فى الأماكن المكشوفة أى فى الخلاء أثناءَ فترةِ الحصادِ وذلك ما كان يحدثُ فى الريفِ المصرى حتّى وقتٍ قريب.

كان الفلاحُ يسكنُ القريةَ فى مسكن يُبْنَى بالطين، وهو مسكنٌ صغيرٌ له بابٌ فى السقف يصعدُ إليه من خلال درج من الخشب أو قَوالب الطوب اللبن التى استُخدمتْ فى العصور التاريخية فى بناء البيت بالمعنى المعْروف. وكانت المساكنُ تتكونُ من دورٍ واحد له نوافذُ منْ أعلى وله فناءٌ بعضُه مسْقوفٌ على أعمدَةٍ، كما استعانَ الفلاحُ بالجريدِ والبوصِ وأفلاقِ النخيلِ لعملِ السّقْف.

أهم المراجع

- وليم نظير – الثروة النباتية عند قدماء المصريين – القاهرة – ١٩٧٠.
- حسـن عبد الرحمن خطاب – الثروة النباتية فى مصر القديمة – القاهرة – ١٩٨٥.
- أحمد عبد الحميد يوسف – الزراعة – مقال فى: الموسوعة المصرية – المجلد الأول – القاهرة ١٩٦٠.

Lucas, A., Ancient Egyptian Materials and Industries, London 1934 .

Montet, P., La vie quotidienne en Egypte au temps des Ramses, Paris .

Erman, A., & Ranke, H., Aegypten und Aegyptisches leben in Altertum .

رقم الإيداع	٢٠٠٤/٧٨٦٣
الترقيم الدولى	ISBN 977-02-6599-3

٧/٢٠٠٢/٢١

طبع بمطابع دار المعارف (ج . م . ع .)